



لفتني مقال تحليلي لجريدة جمهوري إسلامي الإيرانية [1] المقربة من مرشد الثورة والحرس الثوري الإيراني تحت عنوان: هل تهيات الأرضية لتسوية المشكلة السورية؟ وبالمجمل فإن خلاصة المقال : ”أن الشيطان الأصغر” إسرائيل“ والغرب عموماً لا يواافقهم أولاً وجود قيادة سورية قوية تستطيع بسط سيطرتها ونفوذها على الأرض السورية ، وأنّ من غير المصلحة لهذه الدول حدوث أي تطور في مسار إيجاد أي تسوية سياسية تُسرّع في إنهاء الأزمة السورية وأسهب المقال بالحديث عن الدور الإسرائيلي لإضعاف بشار الأسد ، و عن السياسات العدوانية الإسرائيلية لها ، من خلال تبنيها للغارات المتكررة لاستهداف البنى الاستراتيجية السورية بين الفينة والأخرى ، كذلك قيامها بشكل مكثف بالدعم التسللية ولوجستي وحتى الطبيعي لصالح بعض الجماعات المعارضة للدولة السورية. وأسهب المقال في تحليل دور الشيطان الأصغر ” إسرائيل ” في سبيل تخريب أي أرضية تمهد لوجود تفاهم للتوصّل لاتفاق بين واشنطن وطهران بشأن الأوضاع في سوريا ، ما قد ينعكس سلباً على المحادثات النووية ، للوصول إلى اتفاق نهائي مع مجموعة خمسة زائد واحد ؛ لأنّ من شأن ذلك إيقاف الصراع الدموي السوري، الذي يهدد بتقسيم سوريا إلى كانتونات، ولأنّ ذلك يعني أيضاً بدء نجاح مسار التفاهمات الأميركيّة- الغربية مع إيران لتجاوز بذلك القضية السورية، الأمر الذي قد يدفع باتجاه إعادة فتح الملف الفلسطيني من جديد، والذي من المفترض أن يؤدي في نهاية الأمر لإقامة الدولة الفلسطينية ، البعيدة المنال أصلاً .

ذلك نشرت بعض وسائل الإعلام الإيرانية تصريحات جريئة للرئيس الإيراني السابق رفسنجاني - رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام ، وعضو مجلس الخبراء- وقد أشار فيها إلى استنفاد النظام السوري لأدواته ، وطالب طهران بضرورة الاستعداد لكافة الاحتمالات والسيناريوهات ، وعزا نتيجة ذلك للتطورات الدرامية المتتسارعة في سوريا والإقليم ، التي يجب أن يكون لإيران دور في صياغتها - على حد تعبيره - مؤكداً في الوقت عينه إلى أهمية أن تدرك إيران ”الدولة والثورة“ لحظة الحقيقة ومفادها؛ أن الأسد سوف يرحل في نهاية المطاف “[2] كذلك خلصت إحدى الندوات المهمة التي رعتها إحدى المؤسسات البحثية الرسمية الإيرانية أن استمرار النهج السياسي الإيراني تجاه الأزمة السورية على هذا المنوال ، بات يعتبر انتحاراً سياسياً للدولة الإيرانية ، وأنه آن الأوان لإيران أن تعدل من سياستها ، وبشكل ينسجم مع طبيعة مصالحها ، حيث استطاعت الثورة الإسلامية خلال فترة تاريخها السياسي الطويل والمحفوف بالمخاطر ، أن تطور سلوكها وأداءها السياسي تجاه الأزمات ، وسجلت نجاحات منقطعة النظير ضمن هذا الإطار [3].

استناداً إلى ما سبق، ما الذي يمكن استنتاجه:

أولاً : أن إيران باتت تدرك أن الغرب وإسرائيل لا يواافقهم بشكل مطلق وجود قيادة سورية قوية تستطيع بسط سيطرتها ونفوذها على الأرض السورية . وبالتالي آن الآوان لإيجاد هذه الشخصية .

ثانياً : اعتبار إيران بشكل مؤكّد أن النّظام السوري بقيادة بشار الأسد قد استنفذ كل أدواته ، ومبررات وجوده ، وأن على طهران أن تستعد لكافّة الاحتمالات ؛ خاصة مع تصاعد احتمالية إسقاطه في أية لحظة .

ثالثاً : أن الغرب عموماً ، والولايات المتحدة على وجه الخصوص ، تتقاطع بشكل كبير مع الرؤية الإيرانية ، بأنّه يجب الحفاظ على بقاء النّظام السوري ، ولا يريدون الإطاحة به ، أو تفككه ، لكن الخلاف ببساطة على شخص بشار الأسد .

رابعاً : أن إيران "الدولة والثورة" قد أدركت أن بشار الأسد سوف يرحل في نهاية الأمر ، وأن عليها أن تهيئ نفسها لهذه اللحظة التاريخية وتداعياتها من الآن .

خامساً : ضرورة وأهمية أن يكون لإيران دور في صياغة السيناريوهات التي تحدّد مستقبل سورية ، وأن تكون شريكاً أساسياً في اتخاذها .

سادساً : أن الدولة الإيرانية خلال مراحل تاريخها الحديث ، استطاعت أن تخلق حلولاً ابتكارية لسياساتها الخارجية ، مما مكّنها من التكيف مع المتغيرات المختلفة ، وأن بقاء السلوك الإيراني تجاه الأزمة السورية على هذا المنوال دون تعديل هو بمثابة انتحار سياسي ، وتهديد خطير للمصالح الإقليمية والدولية الإيرانية .

سابعاً : أن تغيير شخص بشار الأسد سوف يفوت الفرصة على إسرائيل لتخريب الاتفاق الغربي - الإيراني من ناحية ، وسوف يسهم في إيجاد الأرضية المناسبة لصفقة نووية مع واشنطن، ويوجه صفة قوية للدول العربية : لاسيما الخليجية، وبشكل يضمن هيمنة إيران على الإقليم.

على ضوء هذه التغييرات المهمة في الموقف الإيراني، التي من المؤكّد أن الضّرورات الداخليّة والخارجية "الإقليمية والدولية" قد أسهمت في هذا التحوّل؛ فلأشكّ أن المعارضة السورية المسلحة قد حققت انتصارات استراتيجية مهمة قبل التوازنات، وأربكت **الخيارات** والبدائل أمام صانع القرار السياسي والأمني الإيراني؛ الممسك بخيوط الأزمة السورية . كذلك كان للتحولات الإقليمية ، وفي مقدمتها التغييرات السياسية التي جرت في السعودية ، والتي أدت إلى تقارب ، وتنسيق مع تركيا ، وقطر ، تجاه الأزمة السورية ، الأمر الذي أدى لقلب المعادلة رأساً على عقب ؛ وهو ما لم تكن تتوقعه طهران . أما المتغيرات الدوليّة ، فقد قرأتها إيران بعناية ودقة ؛ فهي تكرر ليل نهار رفضها لشخص بشار الأسد ، وليس للنّظام السوري . وهذه الرؤية لا تقل خطورة عن الاعتبارات الإيرانية ، بالنسبة لحل الأزمة السورية المتفجرة.

السيناريوهات الإيرانية للتعامل مع الأزمة السورية على ضوء هذه التطورات:

السيناريو الأول: إدراك النّظام الإيراني بشكل مؤكّد أن بشار الأسد قد استنفذ أدبيّاته ومبررات بقائه ، وأنه بات من المحتم على طهران اقتناص فرصتها التاريخية للبحث عن شخصية توافقية بديلة ، خوفاً من أن يفرض عليها ؛ نتيجة للتحولات السورية المتتسارعة "الداخلية والإقليمية والدولية" وبموجب هذا السيناريو سيكون التغيير فقط على مستوى رأس النظام، وليس تغيير النظام بمجمله، وقد تمتد لإجراء عملية تجميلية لهذا النّظام ، لتحسين صورته الدموية والقبيحة؛ وبموجب هذا السيناريو سيتم الإطاحة بشخص بشار بعد التوافق مع المؤسسة العسكريّة والأمنيّة السورية على شخصية عسكريّة علوية تضمن مصالح إيران في سوريا ولبنان . وتسمم في بقاء الدولة السورية موحدة ، وتحت العباءة الإيرانية .

السيناريو الثاني: تنصيب شخصية "علوية" سورية توافقية ذات خلفية سياسية ، مع ضمان بقاء خيوط اللعبة العسكرية والأمنية بيد إيران وحزب الله .

السيناريو الثالث: بقاء بشار الأسد على رأس النظام ، واستمرار تحمل إيران لكلف بقائه العسكرية ، والاقتصادية ، والأمنية . وانعكاسات ذلك على البيئة الداخلية الإيرانية بمتغيراتها المختلفة. وفي ظل استمرار مثل هكذا سيناريو سوف تقوم إيران بإرسال المزيد من المليشيات من إيران ، والعراق ، وباكستان ، وأفغانستان،إضافة إلى تعزيز دعم حزب الله نحو المزيد من الانخراط بالأزمة السورية . لكن **السؤال المهم والمحوري:** إلى متى ستبقى إيران قادرة على تحمل كلف عملية استنزافها بسبب الأزمة السورية ؟ خصوصاً في ظل ما تعانيه إيران من أوضاع اقتصادية واجتماعية قد تعصف بدولةولي الفقيه في أية لحظة ، هذا عدا عن إعلان إيران المتكرر بأنها لن تسمح بأن تكون سوريا واليمن فيتنام جديدة بالنسبة لها .

المراجع:

[1] (جريدة جمهوری اسلامی الإیرانیة 1/6/2015)

[2] (سیاست روز ، 25 / 5 / 2015)

[3] (مرکز سیاسی منطقه ای ، سیاست خارجی ایران در قبال بحران منطقه ای ، کیهان ، 9 / 5 / 2015)

مركز أميّه للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المصادر: